خماسية الروح

سعدي يوسف

- ١ -

يوم عالجتها بالتراب
ـ هذه الروح ـ قال التراب :
بالضياء احترقت .

كيف يمضي الى كوكب ليس يعرفه ؟ هـذه الطرق المستقيمات ماثلة منذ ان كان طفلا ... وهذا التراب الذي ظل دهرا يبعثره ، او يسفّ احتمالاته : البذرة الام ، والدرنة القـاتله . بالاظافير يحتثه ، بالاكفّ الرقيقات يحثوه ... هذا التراب الجميل ، التراب المموّه بالنـاس ، من اين يأتيـه ؟ من اين يقتاده المتاعب ؟ دارت بـه السنوات : التراب المبعثر بين اصابعه ، والسبيل المبعثر ، والنظرة الحائله .

- ٢ -

حين عالجتها بالهواء
ـ هذه الروح ـ قال الهواء :
يومها ، ما هببت .

هو ، والبحر ، كانا شقيقين ... ذاك الهواء المشبّع باليود ، والسمك المتعفن ، والثوم ... ذاك الهـواء الـذي يتسرب بين القـواقع ، والهبّة البكر تزهر فقاعة ...

هو ، والبحر ، كـانا شقيقين ... مـن يملأ الرئة اليـوم ؟ اني احشرج بين الرفوف التـي سكنتها الرواسب ، والفيضانات ... هـذا الهواء الذي جاء من نينوى ، والهواء الذي ظلّ قنينة ... والهواء ـ الهواء .

- ٣ -

يوم عالجتها بالحجر
ـ هذه الروح ـ قال الحجر :
هل أكون انتهيت ؟

كم دفعنا الى حجر . كي نطوف دهرا به ... أمس قلبته في يدي ... أيها الحجر النيزك . الحجر الابيض . الحجر المنلون : اي زمان نطعنا معا ! اي ارض حللنا : واي مواطن لم تفتح وطنا ! ربما كنت لي ساعدا يوم كنا صغارا ... وصرت الهراوه في الراس حينا . ولكننا الآن ندان : أنت الذي جئت من أول الكون ... هل جئتني ؟ وأنا الناهض ـ الدهر ـ هل أنشي ؟

- ٤ -

يوم عالجتها بالشجر
ـ هذه الروح ـ قال الشجر :
كالسراب احترقت .

شجرات الطفولة . يا شجرات الطفولة ، يا شجرات الطفوله
لنكن مرة واضحين .
لنقل مرة ان أقسى الحنين
ندبة في الجبين .
لنقل مرة ان أبهى الغصون
ما اختفى في العيون
لنقل اننا ما عرفنا الطفوله :
أنت يا شجرات الطفوله
كنت ممتدة . .
وأنا ... كنت أبكي .

- ٥ -

يوم أطعمتها نارها
قالت الروح :
اني استرحت .

طلقة هذه الروح ...
مجنونة . هي لا تشتري بالفداحة غير عذاباتها . تستجير بـ « رامبو » لتأخذ من شحنات بنادقه الحبشيات واحدة . تهبط الليلَ في الماء مأخوذة بارتعاشات « بشتار » المحتضر .

طلقة هذه الروح ...
هل سوّرتها سماء ؟ وهل صوّرتها ممالك مثل المماليك ؟ هل أودعت في روائح طابوقة منذ بابل ؟ نيران جنّ يفنّون ، أم نار مجمرة عند راس الشهيد ... أم الغائب المنتظر ؟
طلقة هذه الروح ...
كالريح تعوي وتذوي
وكالريح تذوي فتعوي
وكالريح تعوي ... و و و و و و و و ي ...

بغداد
٧ ـ ١١ ـ ١٩٧٨